جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي الوطني

إعداد

سمية رومي الرومي
قسم الأدب والنقد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض ، المملكة العربية السعودية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي الوطني

سمية رومي الرومي

قسم الأدب والنقد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Dr.somiah@hotmail.com

الملخص :

تتناول هذه الدراسة الثنائيات الضدية في شعر فهد بن علي العبودي الوطني، في ديوانه (بوح الصمت)، وفي بعض من شعره المخطوط، وقد حاولت الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة منها: ما علاقة المكان بالتجربة الوجدانية عند الشاعر فهد العبودي؟ وما دور الثنائيات الضدية في إبراز آفاق الشعرية في شعر العبودي الوطني؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، ولتحقيق هدف الدراسة المتمثل في الكشف عن الثنائيات الضدية، ودورها في التعبير عن جماليَّات المكان في شعر العبودي الوطني فقد قامت على المنهج التحليلي الوصفي والمنهج السيميائي. وقد خرجت الدراسة بعدد من النتائج منها: أن الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي، جاءت متوافقة مع تجربته الشعرية بلا تكلف أو تصنع يهبط بجمالية النص، أو يخل بتماسكه النصي، كما أن الشاعر العبودي جسّد من خلال الثنائيات الضدية ما يحمله من رؤى فلسفية وأفكار ونظرات حياتية اكتسبها من ثقافته وتجاربه ، استطاع أن ينقلها للمتلقي بصورة كلية، وأحيانا جزئية، ولعل مثل هذه القراءة النقدية تسهم في نقل رؤى الشاعر بصورة تقرب مشاعره وأحاسيسه للمتلقي.

الكلمات المفتاحية: الثنائيات الضدية ، فهد بن علي العبودي ، شعرية المكان ، بوح الصمت.

Antithetical Binaries in Fahd Al-Aboudi's National Poetry

Sumaya Romy Alromy
Department of Literature and Criticism, College of Humanities and Social Sciences, Princess Noura Bint Abdul Rahman University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Dr.somiah@hotmail.com

Abstract :
This study deals with the antithetical binaries in the national poetry of Fahd bin Ali Al-Aboudi, in his collection, "The Whispers of Silence" and in some of his manuscript poetry. The study attempted to answer a number of questions, including: What is the relationship between place and the emotional experience of the poet Fahd Al-Aboudi? What is the role of antithetical binaries in highlighting the horizons of poetry in Al-Aboudi's national poetry? To answer these questions, and to achieve the study's goal of revealing antithetical binaries and their role in expressing the aesthetics of place in Al-Aboudi's national poetry, it was based on the analytical descriptive method and the semiotic method. The study came out with a number of results, including: The antithetical binaries in Fahd Al-Aboudi's poetry were consistent with his poetic experience without affectation or artificiality that would diminish the aesthetics of the text or disrupt its textual coherence The poet Al-Aboudi embodied through the antithetical dualities what he carries of philosophical visions, ideas and life outlooks that he acquired from his culture and experiences, and he was able to convey them to the recipient in a complete and sometimes partial way, and perhaps such a critical reading contributes to conveying the poet's visions in a way that brings his feelings and emotions closer to the recipient.

Keywords: Antithetical Dualities, Fahd Bin Ali Al-Aboudi, Poetics Of Place, The Revelation Of Silence.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعد الأدب من أهم سمات الحياة في المجتمع، وعلى صفحة الأدب تسطر أمجاد الأمم، وتوثق معالم حضارتها، ويسهم الأدباء في رسم آمال أمتهم، فهم حداة الركب في مسيره، وأداتهم اللغة التي يتواصلون بها، فينقلون أفكارهم بأسلوب جمالي يحقق المتعة للمتلقي بما تستثيره كلماتهم من انفعال بتجاربهم الشعورية الموحية.

واهتمام الإنسان بالأدب يسهم في إعداد الشخصية إعدادا صحيحا؛ فالأدب يهذب الوجدان، ويوجه السلوك، ويعلي جانب الفضيلة في الذات المتلقية، وقد اتفق العلماء والمفكرون والمربون على أهمية الأدب في بناء الشخصية؛ فها هو ذا الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يحث الأمة على الاهتمام بالشعر، فقد روي عنه: "علّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل، وروّوهم ما جمل من الشعر."[1]

لقد ارتبط الإنسان بالمكان وبنى معه علاقات تواصلية؛ ومن أكثر الأمكنة قربا لذات الإنسان الوطن، وقرب الوطن من ذات الإنسان يمنحه الاتصال الدائم به، اتصالا ماديا، واتصالا معنويا في مشاعره وأحاسيسه، فلا غرابة أن أحب الإنسان المكان الذي يعيش فيه، ومنحه اهتمامه، وعمره بالخير، ودافع عنه.

وقد تغنى الشعراء بحبهم لأوطانهم بقصائد خلدت هذا الحب وترجمت ما في نفوسهم من مشاعر، وحفظت ما في أوطانهم من مآثر.

والشعر الوطني من أبرز الموضوعات التي طرقها شعراء العصر الحديث في جميع أقطار الدول العربية، وقد اهتم الشعراء في السعودية في هذا

١ – ذكر في كتاب "أيام العرب في الإسلام" (١٣٨٨/٣)

الموضوع أيما اهتمام؛ فلا يكاد يخلو شعر شاعر من التغني بالوطن وتاريخه ومآثره، ومن شعراء السعودية الذين لم يعطوا حقهم من الدراسة الشاعر: (فهد بن علي العبودي)، وسوف تقف هذه الدراسة على التعريف بهذا الشاعر وشعره باختصار، وتبسط الحديث عن الثنائيات الضدية في شعره الوطني.

لقد تناول العبودي الوطن في شعره وخصّ بعض المدن بمزيد من الاهتمام، وكان للمكان المقدس النصيب الأوفر من شاعريته، وبدت الثنائيات الضدية بارزة في لغته الشعرية، وبناء على ذلك سوف أحاول الوقوف على هذه الظاهرة في هذه الدراسة، ولتأطير الدراسة سأحاول الإجابة عن هذه التساؤلات:

هل للمكان علاقة بالموروث الثقافي لدى الشاعر فهد العبودي؟

ما علاقة المكان بالتجربة الوجدانية عند الشاعر فهد العبودي؟

ما دور الثنائيات الضدية في إبراز آفاق الشعرية في شعر العبودي الوطني؟

وفي هذه المقاربة النقدية سوف أحاول تحقيق هدف هذه الدراسة، والمتمثل في الكشف عن الثنائيات الضدية، ودورها في التعبير عن جماليَّات المكان في شعر العبودي الوطني، معتمدة المنهج التحليلي الوصفي والمنهج السيميائي، ولتحقيق هذا الهدف، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة؛ فقد جاءت الدراسة في هذه المقدمة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وتفصيلها على النحو التالي:

تمهيد:

أولا: التعريف بالشاعر وشعره.

ثانيا: التعريف بالثنائيات الضدية.

المبحث الأول: آفاق شعرية المكان في ديوان بوح الصمت.

أولا: عتبة الغلاف

ثانيا: عتبة العنوان.

ثالثا: عتبة المؤلف.

رابعا: عتبة الإهداء.

المبحث الثاني: الثنائيات الضدية في شعر العبودي الوطني:

أولا: شعرية المكان الخاص: المعهد العلمي.

ثانيا: شعرية المكان العام: مدينة الدلم.

ثالثا: شعرية المكان المقدس.

وسوف أذيل الدراسة بخاتمة تشمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتوصيات، والله أسأل التوفيق والسداد..

تمهيد

أولا: التعريف بالشاعر وشعره.

ثانيا: التعريف بالثنائيات الضدية.

أولا: التعريف بالشاعر وشعره.

يعد الشاعر فهد بن علي العبودي من شعراء محافظة الدلم البارزين؛ فقد كان مولده فيها عام ١٤٠٠ هـ، ونشأ في ربوعها، وتلقى تعليمه في مدارسها، وقد سجّل في ديوانه: (بوح الصمت)، وفي شعره المخطوط عديدا من القصائد التي تتضح بحب الوطن، وتترجم عن الارتباط به وبربوعه؛ وهو من الشعراء المشهورين في محافظة الدلم، وله اهتمام بالمشهد الثقافي، وقد قام النادي الأدبي في الرياض بطباعة ديوانه عام ١٤٤١هـ[١].

تنوعت الموضوعات التي طرقها الشاعر فهد العبودي في ديوانه، وكان الشاعر مسايرا في موضوعات شعره الأحداث والتجارب التي يمر بها؛ فتناول موضوعات وطنية وسياسية واجتماعية وإخوانية وغيرها من موضوعات تعكس

---

١ – حصل على الشهادة الجامعية من كلية اللغة العربية، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٢٣هـ.كما حصل من الكلية نفسها على درجة الماجستير في الأدب والنقد ، عام ١٤٣٦هـ. وقد واصل تعليمه العلمي للحصول على درجة الدكتوراة.

– عمل معلمًا في التعليم العام تسع سنوات من عام ١٤٢٤ هـ حتى عام ١٤٣٣هـ.

– عمل مشرفًا متعاونًا مع الإشراف التربوي – قسم اللغة العربية – في إدارة تعليم الخرج مدة عامين دراسيين ١٤٢٩ /١٤٣٠هـ، ١٤٣٠/١٤٣١هـ. ويعمل حاليًا في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج.

– نشر عددًا من القصائد والمقالات في بعض الصحف والمجلات، مثل: (المجلة العربية، مجلة المعرفة، مجلة الدعوة، صحيفة الجزيرة، صحيفة الرياض، صحيفة المدينة) وغيرها، لديه ديوانان آخران مخطوطان. هذه الترجمة حصلت عليها من الشاعر.

فلسفة عميقة، ونظرة ثاقبة في حقائق الحياة، وشعره في عمومه يمجد القيم العالية، والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ويلاحظ أن الشاعر ملتزم بالبناء الفني المألوف للقصيدة العمودية ذات الشطرين، كما أنه ملتزم بالوحدة الموضوعية في أغلب قصائده، وقد جاء معجم العبودي مستوحى من قاموس الشعر العربي قديمه وحديثه؛ فقد استلهم ألفاظ الشعر العربي القديم بجزالتها، ومتانة تراكيبها دون أن ينفصل عن واقع الحياة المعاصرة، ويلاحظ أن ظاهرة التناص بارزة في شعر العبودي، وهذا راجع لثقافته واطلاعه على الشعر العربي، ومع تأثره بقراءاته إلا أن تجاربه الذاتية التي عبر عنها وسمت شعره بميسم خاص يُظهِر صوتا شعريا متميزا عن غيره من الشعراء.

ينضح الديوان بعديد من القصائد التي أودع فيها الشاعر العبودي مشاعره الوطنية، إضافة إلى شعره المخطوط الذي لم يطبع بعد.

ومن قصائده الوطنية التي لا زالت مخطوطة:

قصيدة المعهد العلمي.

قصيدة ريحانة المدينة.

قصيدة وادي العقيق.

وقصيدة الأرض والسماء،[1] وهي من قصائده التي تحدث فيها عن مكة المكرمة. وغيرها من قصائد مبثوثة في الصحف أو في وسائل التواصل الاجتماعي.

١ – تفضل الشاعر بإرسالها إلي.

والمطلع على شعره الوطني يلاحظ تنوع موضوعاته حسب الأماكن التي تناولها في تلك القصائد، ومن أبرز الأماكن التي تناولها مدينته الأثيرة: الدلم[١]، وقد خصّها بعديد من القصائد ومنها:

الدلم.

أنين مغترب.

وكثير من السؤال اشتياق.

دمعة على طلل.

شماء الذرى.

الحسن المهيب.

المعهد العلمي.

وتناول مدينة أبها في قصيدته: أبها.

وللمكان المقدس النصيب الأوفر من شعره الوطني؛ إذ تحتل مكة المكرمة والمدينة المنورة الذروة في شعر العبودي، ومن أبرز قصائده في مكة:

قطرة من نزف الشوق.

والأرض والسماء.

ومن قصائده في المدينة المنورة:

وكثير من السؤال اشتياق.

ريحانة المدينة.

وادي العقيق.

١ – الدلم: منطقة سهلية تقع في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، والمسافة بينها وبين الرياض ١٠٠ كيلو متر، انظر موسوعة : عين

ومن التغني بالمكان تمتد شاعرية العبودي فتتناول الأحداث التي شهدها الوطن؛ فقد دوّن العبودي معركة عاصفة الحزم بقصيدته: براكين من عل.

وفي هذه المقاربة النقدية سأقف– بإذن الله– على الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي الوطني.

ثانيا: التعريف بالثنائيات الضدية:

الثنائية الضدية آلية شعرية يتقاطع فيها اللفظ والمعنى، ويظهر من خلال تباينها إبداع الشاعر في صياغته الشعرية، وهي نسيج لغوي يترجم عن نفسية الشاعر ومكنونات نفسيته الداخلية ومشاعره وأحاسيسه.

(الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائية هي القول بزوجية المبادئ للكون كثنائية الأضداد وتعاقبها).[١]

ويعرف أبو هلال العسكري المتضادين بقوله: (المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك، كالسواد والبياض). [٢]

اهتم النقاد في العصر الحديث بمصطلح الثنائيات الضدية، وقامت دراسات نقدية تتبع توظيف الشعراء للثنائيات في أشعارهم؛ وسوف أتناول في هذه القراءة النقدية بعض النماذج من تلك الثنائيات بالمقاربة والتحليل والتأويل في شعر فهد العبودي. وذلك لأن تتبع ما ترمي إليه الثنائيات الضدية يأخذ بيد المتلقي لاكتشاف ما تنطوي عليه هذه الثنائيات من أسرار تسهم في تعميق الجانب الدلالي، إضافة إلى ما تنطوي عليه من أبعاد شعرية مكثفة تفصح عن تجربة شعرية فريدة، تقتبس تفردها من ارتباطها بالفلسفة العميقة التي يرتكز

١ – المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت. ج١ ص ٣٧٩

٢ – أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: أبو عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية ، مصر د. ت. ص ١٦٤

عليها الشاعر، وفي ذات الوقت تعكس فهما حقيقيا للحياة وللكون ينم عن وعي تام بالواقع.

وتكتسب الثنائيات الضدية أهميتها من كونها آلية شعرية هامة تفتح آفاقا متعددة في النص الشعري، وتتجلى من خلالها رؤى الشاعر الفلسفية، ويسفر النص الأدبي عن قدرات الشاعر الإبداعية.

وقد اهتم البنيويون بالثنائيات الضدية في قراءتهم للنص الأدبي، وتبعهم السيميائيون لما تتميز به الثنائيات من عمق فلسفي يكشف مكنون النص الأدبي، ويفصح عن خباياه.

لقد تغلغلت الدراسات النقدية الحديثة للوقوف على البنية العميقة في النص الأدبي، وهذا أسس للتضاد فخرجت هذه الدراسات النقدية بمعادلة تربط أجزاءه.[١]

ونجد في تراث العرب القدماء بعض المصطلحات التي تدور في فلك الضدية؛ مثل الطباق والمقابلة، فالطباق هو: (الجمع بين المتضادين). [٢]

وقد اهتم علماء العربية وأصحاب التفسير في تناولهم لمقابلة المعاني دون اللفظ، يقول الزركشي: (وَمُقَابِلٌ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ ربي} فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ التَّقَابُلُ هُنَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لَكَانَ التَّقْدِيرُ: وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا اهْتَدَيْتُ لَهَا، وَبَيَانُ تَقَابُلِ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَنَّ النَّفْسَ كُلُّ مَا هُوَ عَلَيْهَا لَهَا، فَهُوَ أَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ وَبَالٌ عَلَيْهَا وَصَارَ لَهَا فَهُوَ بِسَبَبِهَا وَمِنْهَا لِأَنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَكُلُّ مَا هُوَ مِمَّا ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ يُسْنِدَ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ تَحْتَهُ مَعَ عُلُوِّ مَحَلِّهِ

١ – انظر عاصم محمد أمين بين عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، ص ٥٣

٢ – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤، ص ٢٨٨

كَانَ غَيْرُهُ أَوْلَى بِهِ. ومِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فَإِنَّهُ لَمْ يَدَعِ التَّقَابُلَ فِي قَوْلِهِ : { لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا } لِأَنَّ الْقِيَاسَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ [وَالنَّهَارَ لِتُبْصِرُوا فِيهِ]، وَإِنَّمَا هُوَ مُرَاعًى مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ مَعْنَى [مُبْصِرًا] تُبْصرُونَ فِيهِ طُرُقَ التَّقَلُّبِ فِي الْحَاجَاتِ .وَاعْلَمْ أَنَّ فِي تَقَابُلِ الْمَعَانِي بَابًا عَظِيمًا يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ تَأَمُّلٍ).[1]

وللثنائيات الضدية قدرة على الكشف عن وجدان الشاعر وفكره، ولا يخفى ما تتركه الثنائيات الضدية من أثر عميق في الذات المتلقية يجبرها على الاقتناع بسبب قدرته التأثيرية على العقل وملامسة الوجدان.

لقد اقتضت حكمته تعالى أن يخلق هذا الكون ويقدره في ثنائيات متقابلة؛ قال تعالى:(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)؛ فقدر الليل والنهار، والنور والظلمة، والموت والحياة، والأرض والسماء، وأحوال الإنسان قائمة على الثنائيات المتفارقة والمتناقضة بين حزن وفرح، وجوع وشبع، وصحة ومرض.. والبيئة من حولنا تظهر فيها الثنائيات المتضادة فهناك كائنات حية من حيوانات وزروع وفطريات، وهناك كائنات غير حية من تراب وحجارة، وهناك بيئة برية وبيئة بحرية، وهكذا تتعدد الثنائيات التي تقوم على مبدأ الضدية سواء على مستوى اللغة والموضوع

١ – الزركشي، بدر الدين، محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط١ ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ،ج ٣ ص ٤٦٢ قال مجاهد: في هذه الآية: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجنّ. انظر المصحف الالكتروني، تفسير الآية رقم ٤٩ من سورة الذاريات.

والصورة، وتنشأ الشعرية على الأنساق المضمرة، وتوفر الثنائيات في النص الأدبي دليل على انسجام إيقاعاته، وانفتاحه على أكثر من محور.[١]

والمتلقي يلاحظ كيف يجمع المبدع بين المتناقضات ويقابل بينها بطريقة فنية تجسد إحساسه بالمتناقضات المختلفة في بيئته المحيطة به، وفي تجسيده هذا يظهر ما بين هذه المتناقضات من تفاعل، وفي ذات الوقت ما ينتج عنهما من تكامل له الدور العظيم في استمرارية الحياة وسيرها وسموها وتقدمها.

١ – انظر ديوب، سمير، الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، د. ط، ٢٠٠٩ ص٧

المبحث الأول

آفاق شعرية المكان في ديوان بوح الصمت.

أولا: عتبة العنوان:

سبق وأن ذكرت أن الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن الثنائيات الضدية ودورها في التعبير عن جماليَّات المكان في شعر العبودي الوطني، ولتحقيق هذا الهدف سوف أقوم بتتبع الثنائيات الضدية للوقوف على ما ينتج عنها من دلالات تثري بناء النص الشعري، كما أن رصد الثنائيات الضدية يسهم في تفسير النص الشعري، وفهمه، ونقله للمتلقي ليشارك الشاعر في تجربته الشعورية.

وفي ديوان الشاعر فهد العبودي: (بوح الصمت)، نجد هذه الثنائية تقابلنا من العنوان؛ لا سيما وأن العنوان هو العتبة الأولى للديوان: (بوح الصمت)، الثنائية الضدية تبدو بالبوح والإفضاء والكلام والحديث والتواصل، يقابله الصمت والانغلاق والسكوت وعدم التواصل، ومع ذلك ينتهي الأمر بالتواصل والبوح والإفضاء بكل ما تحمله (بوح الصمت) من دلالات.

إن الذات الشاعرة تبدو في هذا العنوان: (بوح الصمت) وتبدو أيضا ذوات المتلقين، لذا فالمتلقي يشارك الذات الشاعرة في حال البوح وفي حال الصمت، ولئن قام العنوان على التضاد وقامت العلاقة بين ذات الشاعر المفردة، والمتلقين المجموع على التضاد فإن هذا التضاد يفضي إلى الاتفاق، وهذا ما يهدف إليه الشاعر من خلال خروجه من الصمت إلى البوح، إنه يريد إشراك المجموع بتجربته وبحبه وبوفائه، وحملهم على المشاركة الفاعلة تجاه الوطن، وتجاه المكان، وتجاه الأرض.

ثم إن لفظ (بوح) نكرة، و(الصمت) معرفة، والتقاء ثنائيتي التنكير والتعريف تفضي إلى دلالة التعريف والإفضاء والحديث والخروج من الصمت، ومع أن البوح ضد الصمت إلا أن الشاعر يجعلهما يتصلان بالإضافة التي ينتج

عنها الاتصال والإفضاء والحديث والخروج من السكوت والصمت، وهذه الدلالة تتبدى في جميع قصائد الديوان التي تبوح بمكنون الذات الشاعرة، ففي حديثها عن الدلم بوح بالحب بعد صمت، وفي تلويحة لربع قرن بوح وإفضاء بالحب والوفاء بعد صمت، وهكذا نسير مع قصائد الديون نشارك الشاعر بوحه وخروجه من الصمت.

ثانيا: عتبة الغلاف:

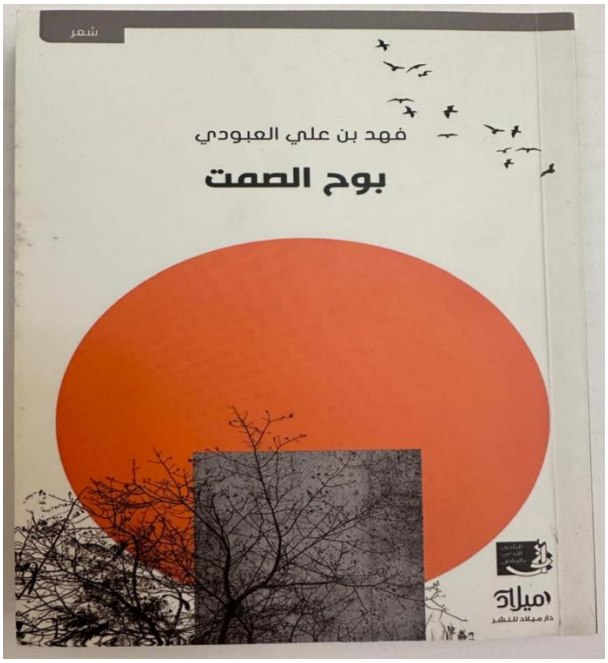

وتصميم الغلاف يقوم على الثنائية؛ الضوء والظلمة، الدائرة والمستطيل، البياض والسواد، والضوء تمثله شمس تخرج من خلف الجدران لتبوح بحكايات صباح مشرق، صباح يبدد العتمة المنضوية خلف جدار الصمت، إن الشمس تستيقظ معها الحياة، وتقبل الطيور من بعيد مرددة أهازيجها، فتبوح مع الشاعر، مبتهجة بصباح ترسل فيه تغاريدها مرددة أذكارها، وأورادها؛ فتخرج من صمتها وسكونها الذي رافقها طوال الليل.

إن الطيور التي ترمز للطبيعة ذات الصوت والبوح، تمثل الطبيعة الحية تقبل من الأفق البعيد، تقبل متجهة للأفق القريب متجهة نحو الجدار الذي يرمز للطبيعة الصامتة، الطبيعة الميتة التي تعود إليها الحياة والبشر مع إقبال الطيور بزقزقتها وتراتيلها العِذاب.

وتبدو ثنائية السكون والحركة، سكون الجدار والمنزل، وحركة أغصان الأشجار مع كل هبة ريح، بل ومع كل نسمة هواء.

ويتغلب الضوء والبياض على الظلمة واللون المعتم ليفصح عن تفاؤل الشاعر، وإقباله على حياة التعاون والعطاء والنماء.

إن غلاف الديوان يعبر عن الذات الشاعرة التي تخرج من صمتها وسكونها، وتستيقظ من سباتها مع شروق شمس التفاؤل، ومع صوت الحياة، لتبوح بمكنون ذاتها مع تغريد الطيور.

ولئن كانت ذات الشاعر تتبدى لنا بشيء من الرمزية في تشكيل الغلاف الأمامي، فإنها تظهر بوضوح في الغلاف الخلفي الذي ظهرت عليه مقطوعته الشعرية: (بوح الصمت)، إنها تحمل عنوان الديوان، وتترجم عن فحوى العنوان الذي وسم به الشاعر ديوانه:[1]

روينا الحب حتى ضاق عنه قصيد واشتكى تعبا وأينا

ولم نرو الهوى كذبا ولكن رويناه لكم لما ارتوينا

نعم، لقد جاء بوح الشاعر بعد صمت لم تعد تطيقه ذاته الممتلئة بالحب والعطاء للأهل والدار والوطن، جاء من أعماق نفسه، حاملا مكنوناتها التي أُجهدت قصائد الشعر من حملها وناءت بنقلها.[2]

١ – صفحة الغلاف من الخلف.

٢ – صفحة الغلاف من الخلف.

إذا ارتوت العروق بفيض حبٍّ يفيض على اللسان ولو طوينا
ولو أنّا ابتدأنا في حديثٍ يترجم حبنا لك ما انتهينا

إن هذا الحديث والإفضاء جاء بعد امتلاء بفيوضات الحب التي مهما حاول إخفائها أو حبسها فإنها تخرج على لسانه، مفصحة عما يكنه وجدانه، هذا الوجدان الممتلئ الذي يستمد منه لسانه أحاديث الحب العذاب التي لا تنضب ولا تنتهي.

وفي أسفل الغلاف جاء اسم دار النشر: ميلاد وكذلك النادي الأدبي الذي شارك في إخراج الديوان للنشر، فالدار (ميلاد) باسمها الموحي بالخروج يوحي بالبوح والحياة بعد صمت وسكون، والنادي الأدبي يساعد الشاعر في إخراج بوحه بعد صمت طويل انتهى بهذا البوح الذي شارك النادي بإخراجه.

ثالثا: عتبة المؤلف:

ويظهر على الغلاف اسم الشاعر فهد بن علي العبودي، وقد كُتب اسم الشاعر قريبا من الطيور المقبلة من بعيد تروم البوح والحديث والإفضاء؛ فلعل الشاعر أقبل معها ليشاركها البوح، واسم المؤلف كتب فوق العنوان، ولم يكتب أسفل العنوان كما هي العادة في كتابة أغلب المؤلفات، وفي هذا الترتيب الشكلي إيحاء بأن الشاعر حضر مشاركا الطيور المقبلة ليبوح بعد صمت.

رابعا: عتبة الإهداء:

الفضاء النصي الذي خصصه العبودي للإهداء ظهر بشكل متميز، وقد بين بعض النقاد أهمية الفضاء النصي لدى المتلقي، ومن أبرز المهتمين بالفضاء النصي (ميشال بتور)؛ حيث يقدم تعريفا هندسيا للكتاب، إذ يقول: (إن

الكتاب، كما نعهده اليوم، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة، وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر، وعلو الصفحة).[١]

وكما اعتمد العبودي الثنائية التقابلية في عنوان ديوانه، نجده يعتمدها في الإهداء الذي خصّ به ثنائي الحب والعطاء: الأم والأب؛ إنه إهداء لوالديه الكريمين الذينِ عجزت حروف قصائده عن برهما، فراح يعوّض ذلك بأمنية صدّر بها إهداءه البديع الذي جمع فيه ثنائية الصياغة الشعرية والنثرية: [٢] الديوان: ص٤

***

وددت لو أجعل من كل حرف في هذا الديوان قصيدةً

إهداء لأمي وأبي...

ولست بمدّعٍ كرمًا وبرًّا

بهذا الشعر؛ فالدعوى عقوق

وقد نقلت إهداءه الذي صدّر به ديوانه بنفس الطريقة التي شغل بها الفضاء النصي الخاص بالإهداء، والمطلع يلاحظ الثنائية الشكلية التي ظهر بها الإهداء، فالنثر كتب في سطرين، وكذلك الشعر مع أنه بيت واحد إلا أن الشاعر جعله في سطرين يتوسطان الصفحة.

لقد جاء الإهداء مختصرا، وواضحا تمام الوضوح، لغاية تواصلية أرادها الشاعر في إهدائه لوالديه وهما يتلقيان هذا الديوان، إن الإهداء الذي توسط الصفحة يقابل القبلة التي يرسمها الابن البار وسط جبين والديه.

---

١ – ميشال بتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ١١٢.

٢ – الديوان: ص٤

المبحث الثاني

الثنائيات الضدية في شعر العبودي الوطني

أولا: شعرية المكان الخاص: المعهد العلمي.

وقف الشاعر العبودي في قصيدته: (ستون كنزا في متحف الأمجاد) وقفة متأنية تظهر التحول والتغير بين الماضي والحاضر، بين الأمس واليوم، يقول في مستهل قصيدته:[١]

على مواقد جمر الوجد مُستعِر اتُقَلِّبُ الذكرياتُ القلبَ والبصرا

ننال في الدهر أوطارًا وتنهبها صروفه .. فكأنّا لم نَنَلْ وطرا!

أكلما أمطرتْ أيامُنا رغدًا هبّت رياحٌ يُلاشي عصْفُها المطرا؟!

الشاعر يقف وقفة تأملية تفصح عن حقيقة الأيام، وتقلبها، وتغير حالها من حال إلى حال، فمن تحقق الأوطار إلى فقدانها، ومن أيام ممطرة بالخير والبركة إلى أيام تعصف بالمرء فتذهب لذة أيام منصرمة؛ ومعجم الشاعر يبرز هذه الثنائية: (تنال – تنهبها)، و(أمطرت رغدا– يلاشي عصفها المطر)، وهذه الثنائية التي ربط فيها العبودي بين المتضادات المتنافرة أسهمت في تعرية حقيقة الدنيا، وأحوالها المتقلبة، وقد جاء خطاب الشاعر معتمدا التضاد في تصويره، مظهرا محاسن الدنيا في عطائها، ومساوئها في نهبها، وتغيرها، وتلاشي خيرها، وقد عكس هذا التضاد بعدا حجاجيا ساعد على إقناع المتلقي بالحقائق التي ضمنها العبودي افتتاحية قصيدته، وذلك ليستحضر المتلقي حقائق الدنيا الغائبة عن الذهن؛ فيحفزه للتأمل وأخذ الحيطة والحذر من تقلبات الدنيا، وتغير أحوالها.

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

وتذهب لغة الشاعر بعيدا عن اللفظ الذي يكشف الثنائيات بطريقة مباشرة، إلى الثنائيات المعنوية التي يخضعها الشاعر العبودي لتجربته؛ حقيقة ذهاب الزمن الماضي وعدم قدرته على استعادته:

يا وَيْحَ من ظلَّ مشتاقًا إلى زمنٍماضٍ؛ لقد رامَ أمرًا في المنى عَسِرا!
إذا تضاءلَ في عينَيْه مُبْتعِدًاماضيه أثقلَ جنبَيْه الجوى كِبَرا!
وليس يملك كَبْحَ الوجد حين نما وليس يملك ثَنْيَ الدهر حين جرى!

صوت الشاعر يظهر ضعفه وحزنه على تلاشي الزمن الماضي، وعجزه عن استعادته، وهو لا يملك الانعتاق من ذلك الزمن؛ فمع أنه يتضاءل ويصغر ويبتعد، إلا أن ذكرياته تزداد وتكبر في ذاته التي لا يملك كبح وجدها على ذلك الزمن الذي تقضّى وانطوى، وفي هذا تمهيد لفهم فحوى عنوان القصيدة: (ستون كنزا في متحف الأمجاد).

ويتابع الشاعر العبودي بوحه الشعري، خارجا من صمته، مفصلا دقائق تجربته المؤلمة بعد أن رأى المعهد العلمي مغلقا؛ فينتقل بالمتلقي مصعدا به، ليتابع هذه التجربة في أوج حركتها، وديمومتها؛ إذ يقطع الحاضر معرجا على الماضي بتفاصيله ودقائقه:[1]

واهًا لأطياف ذكرى لا تُزايلنيأرى بها المعهد العلميَّ مزدهرا!
كم استطَبْتُ ارتشافَ العلم فيه ضحىًكما استطَبْتُ وأصحابي به السمَرا!
نراه كالروض فينانًا فنقصدهظِلًّا .. ونبعًا .. ودوحًا مُثمرًا خَضِرا
يأوي رجالٌ له .. ذا يستظلُّ به ..وذاك يَسقي .. وهذا يَطْعم الثمرا

الأبيات تزخر بالثنائيات المختلفة، وتبرز الثنائيات التي تحاول تتبع البيئة، وبيئة المعهد بنية مركزية فاعلة في خطاب الشاعر؛ فالمعهد مشرعا أبوابه في

١١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

الصباح والمساء(ضحى – السمرا)، وهو مورد علمي عذب السقيا لذيذ الطعم (يسقي – يطعم). هذه الثنائيات المتضادة تعكس ذكريات العبودي عن المعهد، وتجسد تصوراته عنه بصور فنية تقوم على التشبيه والاستعارة التي تستقي أدواتها من الطبيعة الحية.

ويتابع العبودي بوحه الشعري مظهرا ما تحمله نفسه من ألم؛ فبينما تقصر أيام الوصال، تطول أيام الفقد والانقطاع:[١]

طال اشتياقي لأيامٍ به قَصُرتْ أشكو إليه ومنه الطولَ والقِصَرا!

من بعد ما بِنْتُ عنه ظَلْتُ مُصطبِحًاجوىً ومُغتبِقًا من حَرّه صَبِرا

الثنائية التي تعكس قصر أيام الوصال يختصرها الشاعر بشطر واحد: (طال اشتياقي لأيام به قصرت)؛ بينما ساعات الفقد التي بدأت تطول على ذاته نلاحظ أن تفصيلها يطول في بنائه الشعري: (أشكو إليه ومنه الطول والقصر)، ويتابع بوحه بثنائية عميقة تجسدها الصورة الشعرية:(ظلت – مصطحبا – جوى)، وتواصلها من الصباح للمساء يبرز بصورة شعرية أخرى أكثر عمقا (ومغتبقا من حره صبرا)؛ فبينما يتناول المرء الغبوق في المساء ليذهب تعبه، ويبرد حره، نرى الشاعر يتجرع في مسائه غبوقا من الصبر المر.

وتبرز الثنائيات ما أصاب المعهد العلمي من تحول؛ ذلك التحول المؤلم الذي تترجمه الصور التي تنثال على لسان الشاعر متتابعة تجسد الألم، وتبرزه للعيان:[٢]

أتيته وأنا صادٍ لموردِهِ فهالَني أن نبْعَ الرَّبْعِ صار ثرى!

والَهْفَ من سار نحو النبع من ظمأٍوحين وافاه ألفى النبعَ مُنْحسرا!

وكان عهديَ أن الربعَ مزدحمٌبوارديه، فما لي لم أجد أثرا؟!

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

وكان بالأمس مأهولًا بهم جَذَلًاواليوم أصبح مأهولًا بهم عِبَرا!

الشاعر يعتمد السرد القصصي في وقفته الشعرية، وعبر قناة السرد: (الراوي –القصة –المروي له)[1] يصل إلينا صوت الشاعر: (الراوي)، بصفته شخصية رئيسة، ويصغي المتلقي (المروي له) لهذا الصوت الذي يظهر التأثر العظيم في بوحه، وهذا راجع إلى إدراك الشاعر لأهمية المخاطب، و(وظيفة الأعمال الأدبية (والسردية خصوصا) هي ربط الأنا بالغير)[2] .

الشاعر يقف مذهولا أمام النبع الذي تحول إلى ثرى، فقد تلاشى ذلك النبع وانحسر ماؤه العذب الذي طالما استقى منه واردوه؛ والثنائيات المتتالية: (مزدحم – لم أجد أثرا) و(بالأمس جذلا – اليوم أصبح عبرا) تبرز البون الشاسع بين حال الازدحام والفرح، ثم التحول ليصبح أثرا خاليا يحمل العبرة والذكرى.

ومع ما أصاب المعهد من تحول في البناء الظاهر، إلا أن الشاعر يتدارك نفسه التي أصابها الألم، فيظهر بقاء أثر هذا المعهد المتمثلة بالقيم والأخلاق؛ وهنا تظهر ثنائية الانفتاح والانغلاق، والحياة والموت:[3]

قد كان قبلُ كبيرًا .. شامخًا.. زمنًاولم يزلْ لو تهاوى الصرحُ واندثرا!
إن الرزايا لشتّى في قساوتهاوإن أقسى الرزايا نكبةُ الكُبَرا!
يا أيها المعهدُ العلميُّ في دِلَمٍأوصدتَ بابكَ لكنْ طيبُك انتشرا
من كُوَّةِ الباب يَذكو الطيبُ منبعثًايستنشقُ الغدُ منها أمسَك العَطِرا
من مَرَّ بالروض تنفحْهُ أزاهرُهُطيبًا ولو شيّدوا من حوله الجُدُرا

---

١ – انظر حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠١٥، ص٤٥ وما بعدها.

٢ – علي عبيد، مقاربات سردية، الانتشار العربي، بيروت، ط١،٢٠١٤، ص: ١٧٠

٣ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

الثنائيات تكشف عدم رتابة حياة المعهد؛ بل تجددها؛ فمع أن بابه أوصد لكن طيبه انتشر؛ إنه الانفتاح والتجدد والحياة؛ فالغد ينهل من الأمس، ومع ارتفاع الجُدُر إلا ان انتشار أثر المعهد يملأ الأجواء، والشاعر يستثمر مفردات البيئة الطبيعية ليظهر هذا الأثر: (العطر –الروض– أزاهره).

ويتماسك الشاعر، ويظهر أثر إيمانه في تجربته الشعرية؛ وتتبدى الأنا الشاعرة كظاهرة متعالية متجسدة في المعهد العلمي أمام ظروف التحول الإجباري الذي لا يملك أمامه سوى التسليم لقدر الله:[1]

أوصدتَ بابك .. لا شُحًّا.. ولا مللًابل امتثلتَ قضاءَ الله والقدرا
وكان بابك مفتوحًا لقاصدهويحمد الناس منك الوِرْدَ والصدَرا
كأنما كان مِصْراعاهُ إذ فُتِحايَدَيْ كريمٍ يُحيّي كلَّ من عَبَرا
بسطتَ دهرًا لمرتاديك قاطبةًموائدَ العلم! طاب العلمُ منك قِرى!

العبودي في بوحه يوظف تقنية الاسترجاع[2]؛ إن استرجاع الماضي المضيء يعكس أيام الخصب التي عاشها الشاعر في ظل ذلك المعهد؛ ومع ذلك تتساوى حال الشاعر المتماهية والمتصالحة مع الواقع البيئي الذي كان قائما؛ وأصبح على حال أخرى، وقد أسبغ الشاعر الحياة القيمية والأخلاقية التي غرسها المعهد في أبنائه، مجسدا ثناءه على أثر المعهد بصورة حسية: (بسطت.. موائدَ العلم! طاب العلمُ منك قِرى).

إن ثنائية الماضي والحاضر لهذا المعهد لا تعكس تصور العبودي تجاه المعهد فحسب، بل تعكس تصوره للحياة والكون.

١– وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ –الاسترجاع هو توقف الراوي عند نقطة زمنية معينة في حاضر السرد، والعودة إلى الوراء لسرد أحداث سابقة. انظر أسامة محمد البحيري، مقارنات في السرد العربي، الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص ٦٠

ويلحظ المتلقي أن الشاعر قد وظف تقنيات القص الشعري بمهارة وهو يسرد عوالم هذا المعهد التاريخية والأدبية والعلمية، ويتتبع تاريخه بصورة آسرة حقا؛ وهذا عائد لتوظيفه لتقنية القص مستعينا بآلية السرد التكرارية بمهارة عالية تعلو فيها التعبيرات الشعرية الموحية:[1]

ستين عامًا بثثتَ العلم منبثقًانورًا، ومندفقًا من فيضه نهَرا
والواردون حياضَ النهْر ما انقلبوايومًا ظِماءً .. ولم يَنْضُبْ .. ولا كَدُرا
كم ارتوتْ من سواقي فضله زُمَرٌطَوالَ ستينَ عامًا تقتفي زُمَرا
وليس عُمْرُك محدودًا بمُدَّتهابل سوف تحيا بكلٍّ منهمُ عُمُرا
أوصدتَ بابكَ لكنْ غيرُ مؤصَدةٍأبوابُ تاريخك الزاكي الذي غَبَرا
تاريخُك النضْرُ يَسْبي النفسَ منظرُهُوالنفسُ تُسْبى بما احْلَولى وما نَضِرا
ستون سِفْرًا بأقلام السَّنا سُطِرتْوقيمة السِّفْر قد تغلو بمن سَطَرا

الشاعر يكرر عمر المعهد البالغ ستين عاما في مستهل القصيدة في تقديمه، وكذلك في ثناياها ليؤكد في ذهن المتلقي ما يحمله الزمن من أحداث وتحولات، وهي تكشف دلالة عنوان القصيدة: (ستون كنزا في متحف الأمجاد).[2]

إذا تَصَفّحَها القاري ليقرأهاما عاد في وسعه أن يملك النظرا
ترتاب حين تراه قارئًا! أطوىجفنَيْهِ للغمض أم جفناه ما فتَرا؟!
كأنما كلُّ سِفْرٍ مُمْسِكٌ طَرَفًامن جفنه لو أراد الغمضَ ما قدِرا!
تطوف عيناه فيها وَهْوَ في دَهَشٍمن حُسْنِها، كلُّ سِفْرٍ خازنٌ دُررا!

الصور الفنية التي أبدع الشاعر في صياغتها، وبالغ في تجويدها، رغبة منه لتجسيد ما حوته تلك السنوات الزاهرة من عمر المعهد، تعكس عظمة الإرث

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

العلمي الذي أبقاه المعهد في طلابه، بل وفي كل من يتصل بهؤلاء الطلاب، ليغرف من معين العلوم والقيم والمثل التي استقاها كل من ورد حياض ذلك المعهد.

ويختم العبودي بوحه القصصي بختام يظهر إيمانه ببقاء أثر هذا المعهد التاريخي الذي طالما سطر أمجادا تحتفظ بها الذاكرة التاريخية في متاحفها وتبث أثرها في واقع الأجيال المتتالية:[١]

أجلْ؛ ستودَعُ من آثار روعتهاكنزًا لدى مُتحَف الأمجاد مُدّخَرا

ختام الشاعر يتسق مع عنوان قصيدته: (ستون كنزا في متحف الأمجاد)، فاتفق البدء مع الختام، ليؤكد بقاء المعهد ببقاء آثاره العظيمة.

وهكذا سجل الشاعر فهد العبودي قصة إغلاق المعهد العلمي بأسلوب قصصي حي، وقد كان الشاعر يمثل الشخصية الرئيسة في بوحه الشعري؛ إنه شاهد عيان رأى ذلك المكان، فراح يخص المعهد بمزيد عناية في قصه الشعري، فلا غرابة أن يأخذ عنصر المكان نصيب الأسد في البروز من بين العناصر القصصية، ويقابل عنصر المكان عنصر الزمان؛ فهو من أهم عناصر القص التي تظهر ثنائية الماضي والحاضر التي أراد الشاعر التعبير عنها، وقد كشفت الثنائيات الضدية المنبثة في بوح العبودي عن ذكريات المعهد، وما أصابه من تحول عن جماليَّات المكان في شعر العبودي وهو يصف المعهد الذي يشكل معلما من معالم الوطن، وفترة من عمر الشاعر يضم أجمل الرؤى، وأعظم الذكريات.

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

ثانيا: شعرية المكان العام: مدينة الدلم.

يضطلع المكان بدور مهم في التشكيل الجمالي في التجارب الشعرية، فمن خلالـه تتكشـف المشـاعر النفسـية والأحـداث والشخصـيات، والمـوروث الثقـافي خاصة عندما يستحضرها المبدع من ذاكرته.

لقد حضرت أمكنة كثيرة في شعر العبودي: (الدلم – أبها – مكة– المدينة المنورة..) وهي مدن لها حدودها الجغرافية، وقد كان لها حضور في كثير من تجارب العبودي الشعرية التي سجلها، وهناك أماكن خاصة لها ارتباط في حياته ظهرت في شعره، ومن أبرزها المعهد العلمي، وقد حظي ببعد جمالي في تلك التجربة التي وقفنا عليها في قراءة شعرية المكان الخاص؛ حيث برز المكان بأبعاده يستحضر الذكريات متأملا، ومقارنا الماضي والحاضر.

وفي تناولنا لشعرية المكان العام، نجد قصائد عديدة للشاعر تناول فيها مدينة الدلم، وفي قصيدة فريدة تناول مدينة أبها، ويلاحظ في وصفه لهما ثنائيات مختلفة؛ فهناك ثنائية اللقاء والفراق، وثنائية البقاء والزوال، و ثنائية الفرح والحزن، ولعل الوقفات التالية تقف على صنيع الشاعر و تكشف جماليَّات المكان في شعره .

ثنائية اللقاء والفراق:

تتبدى ثنائية اللقاء والفراق في مواضع عديدة من ديوان الشاعر، حيث تبرز أحاسيس الاغتراب في نفس العبودي بعد نأيه وبعده عن محبوبته: (الدلم) فيرسل قصيدته: (أنين مغترب)، التي أودعها أنينه وشوقه لمدينته الأثيرة، يقول في مطلعها: الديوان ص ٤٧–

دلمٌ، وهل في حبها من يعذلُ؟ومن الذي بدياره لا يشغلُ

أهفو إلى تلك الديار وأهلهاوخيالها عن ناظري لا يأفل

الشاعر في نفثته الشعرية التي عنونها باسم محبوبته: (الدلم) يفتتح قصيدته باسم مدينته؛ إنه يستدعي جميع شحناته الوجدانية تجاه مدينة الدلم التي

لا يغيب خيالها عن ناظريه، فتشتاق نفسه لديارها وأهلها الكرام؛ فقد برّحت به الغربة أيما تبريح، بل إن وطأة التشوق للقاء قد تغلغلت في ذات الشاعر فجعلت زمن الاغتراب يسير بتمهل؛ لذا يتابع الشاعر استخراج نفثته الشعرية: الديوان ص ٤٧-٤٨

عجبا لتصريف الليالي مالهالما دهيت بغربة تتململ؟

لو عدت بين أحبتي لرأيتهابعد الهوينى في المسير تهرول

الشاعر يتعجب من حال الليالي والأيام التي تسير بثنائية عجيبة؛ ففي حال الغربة تسير ببطء وتثاقل وتمهل ممل، وفي حال اللقاء تسير بسرعة وهرولة تتقضى فيها ساعات الوصال واللقاء، والشاعر يجمع هذه الثنائية بالفعلين: (تتملّمل – تهرول)، وشتان بين الفعل الأول المضعّف المحاكي بتضعيفه لبطء الأيام، وتضاعف وطأتها على نفسه، وبين الفعل الثاني: (تهرول).

الشاعر في ختام نفثته الشعورية يحاول التغلب على واقع البعد والفراق، فيلجأ للتمني عله يحقّق اللقاء، فيرسل أمنيته لبدر الدجى الذي ظل ساهرا معه في مغتربه، عله يحمله إلى مدينته الأثيرة: الديوان ص ٤٨

يا ليت هذا البدر يحمل والهاًلولا صبابته لخفّ المحمل

إن ثنائية البعد والتلاقي تولد منها ثنائية الذلّ والعزّ؛ فالمرء يعيش عزيزا في موطنه وداره، ويتذوق مرارة الذل حال بعده وفراقه. الديوان ص ٤٨ –٤٩

الحرّ في أرض الأحبة مطلقٌوإذا تناءى عنهم فمكبّل

عزُّ الفتى في داره، فإذا نأىعن داره ألفيته يتذلّل

يقفل الشاعر تجربة الاغتراب بختام قائم على ثنائية الحريّة والعبوديّة: (الحر مطلق –مكبّل)، وثنائية العزّ والذّل؛ إنه ختام يظهر قيمة الوطن ومكانته في نفوس العظماء من أبناء الوطن الأوفياء، كما أن الثنائيات الضدية جسدت أبعاد الشعرية لدى العبودي، وشيئا من نظراته الفلسفية ، وأظهرت براعته الفنية.

ثنائية البقاء والزوال:

وفي قصيدته: (دمعة على طلل)، تبرز ثنائية البقاء والزوال، والاتصال والانقطاع، والحياة والموت، والتلاشي والحضور، يقول في مطلعها: الديوان ص٧٤

لك ذكريات في الفؤاد تجولليت العهود السالفات تؤول

لله أيام الطفولة هل لهامن رجعة أو ما لهن سبيل؟

مضت الليالي وانقضت أيامها ولسوف نمضي مثلها ونزول

ثم يقول بنفس شعري يظهر التحول والتلاشي والتغير الذي حلّ بدار الطفولة مبديا استنكاره لمناخات الصبا التي تغيرت، وللمعالم التي عفا عليها البلى، ويفصح عن تعجبه المتفجع واستنكاره للحال التي غدت عليها ملاعب الصبا: الديوان ص٧٥

دار الطفولة، ما دهاك؟ تغيرتفيك المعالم واعتراك ذبول

لما رأيتك أنكرت عيني الرؤىما عاد فيك لساكنيك دليل

بالله كيف سطت عليك يد البلىومحت معالم فيك ليس تزول؟

يا دارُ أين ملاعبي وأحبتي؟ومتى تصدّع ربعك المأهول؟

ويمضي الشاعر مع تراسل بوحه الشعري يلاحق الزمن الماضي المنصرم الذي لم يدر في خلده ولا في خلد رفاق الصبا أنه سيتغير ويتحول إلى هذه الحال المؤلمة: الديوان ص٧٥

قد كنت أمرح فيك والأتراب لم نعلم بأن زماننا سيدول

كنا نظن العيش ذلك سرمداًونظن أن الوصل سوف يطول

الشاعر اعتمد الفعل الماضي: (كنت –كنا) ليعبر عن التحول الذي حلّ بمراتع صباه، ويكرر الفعل: (نظن) ليواجه نفسه بحقيقة الواقع الذي آلت إليه مراتع طفولته ومغاني صباه، وقد ساعده ذلك على الانعتاق من الزمن الماضي وتشخيص الواقع على حقيقته: الديوان ص٧٥

لكنها الدنيا تُعلّم أهلها فيفيق مغرور بها وجهولُ
لا غرو أن تلقى الديار خواليًاكلُّ الديار مصيرهنّ طلول
وإذا التقى الأحباب يوماً قل لهم:عقبى اللقاء تصرُّمٌ ورحيلُ
هذي هي الدنيا فليس لحالهاخلدٌ، وليس لما يفوت قفولُ

إن الشاعر يختم قصيدته بختام يظهر نفسه الإسلامي الراضي بما قدره الله؛ فمع تداخل مشاعره المتألمة على انصرام الماضي الجميل، وذكرياته المؤنسة، إلا أن نفس الحكمة يعقل تجربته الشعرية فتنثال صور شعرية تكشف حال الدنيا التي لا تدوم، ولا يرجع ما انقضى من أزمانها المنصرمة، فلا حيلة للمرء معها غير الرضا والتسليم.

لقد جاء ألم الفقد الذي طغى على الشاعر العبودي في تجربته الشعورية متساوقا مع الواقعية الإسلامية في تصورها للقضاء والقدر، ذلك التصور الذي لا يكبت الطاقة، ولا يكف المرء عن العمل والبذل والعطاء، ولا يكلف المرء فوق طاقته؛ إذ يلاحظ أن واقعية العبودي لم تنفصل عن واقعه الأرضي الملموس، ولم ينقطع عن الحقيقة العليا التي يؤمن بها، والواقعية الإسلامية بأيسر تعبير هي: (الرباط السليم المتوازن الذي يجمع بين الأرض والسماء، بين الطبيعة المحسوسة والطبيعة غير المحسوسة)[١]، وقد بدت تجربة الفقد بصورة يظهر فيها الاتزان والرضا الذي يقوّم الذات فلا تتوقف عن البذل، والتجاوب مع تقلبات الليالي والأيام بإيجابية فاعلة، إيجابية تواصل سيرها بيقن تام بأن دوام الحال من المحال، وما فات لا يعود، ومع ذلك يقابل الشاعر ذلك بالرضا والتسليم.

١ – ساعي، أحمد، الواقعية في الأدب والنقد، دار المنار، جدة، ط ١ ، ١٤٠٥هـ، ص ١٧

ثنائية الفرح والحزن:

وفي قصيدة: (أبها) تبرز ثنائية الفرح والبهجة، والحزن والأسى يقول: الديوان ص ٩١

أأبها فيك يُرتجل القصيدويزهو بالقصائد منك جيدُ

وفيك يسرُّ من وافى حزينًاويأنس رغم غربته البعيد

ثم يقول: الديوان ص ٩١

رأيتك فانجلت بلواي عنيوبعض الحسن للبلوى مبيد

الشاعر العبودي ينطلق من نفس متفائل، يتغلب فيه صوت البهجة والفرح على صوت الحزن، لذا يتغلب معجم الفرح والاستبشار على معجم الحزن والألم: الديوان ص ٩١-٩٢

أقلب ناظري فأرى سهولا وأصرفه فتبدو لي نجود

وأرفع ناظري فأرى سحاباتجلجل في نواحيه الرعود

وأطرب حينما تشدو طيورٌوأعجب حينما تجري القرود

ثم يختم قصيدته بختام يتغلب فيه صوت الفرح والبهجة، ويشيد بجمال المكان الذي بدّد بحسنه الحزن عن كل من حلّ فيه؛ الشيخ الكبير، والطفل الصغير: الديوان ص ٩٢

أأبها يا ديار الحسن إنيلما أبصرت من حسن مصيدُ

لقد سُميت أبها من بهاءٍبأرضك ليس ينكره الحسود

فسبحان الذي أعطاك حسنًايهيم الشيخ منه والوليدُ

هكذا عكس العبودي في بوحه المعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن حالته النفسية التي عاشت نقلة نوعية، أنها نقلة تظهر أثر المكان في الذات الشاعرة، وتبرز دور المكان في تشكيل الشعور، وقد رسم العبودي في بوحه حياة شاخصة تظهر فيها الحركة المتجددة، مجسدا لنا حالته النفسية الصامتة بلوحة فنية ناطقة مشاهدة.

ثالثا شعرية المكان المقدس:

وللمكان المقدس حضور قوي في شعر العبودي؛ فمكة المكرمة، والمدينة المنورة، تبرزان في شعره بصفتهما مكانا مفتوحا شعّ نورهما على المعمورة قاطبة.

إن مكة تبدو فضاء مفتوحا بمحاسنها الظاهرة، وهي تترجم مشاعر الشاعر، وتعكس عاطفته تجاه ما تحمله هذه المعالم من قداسة، وقد ظهرت الثنائيات الضدية في مواضع كثيرة من قصائده التي عبّر بها عن مشاعره، وأحاسيسه تجاه مكة، ولعلنا نقف على ثنائية اللقاء والفراق التي يقوم عليها البناء الفني، والشعوري في عدد من المواضع في شعر العبودي؛ فقد سجّل نأمات مشاعره المتشوقة للقاء مكة والمدينة.

ثنائية اللقاء والفراق:

في قصيدة: (قطرة من نزف الشوق)، يبث العبودي أشواقه تجاه مكة وتبرز في هذا البث ثنائية اللقاء والفراق، إن مكة بقداستها تمتلك مشاعر العبودي؛ فحنينه لمكة لا ينقطع، إنه حنين مستمر يملك عليه فؤاده ومشاعره، ولعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا ما قلنا: إن هذا الحنين حقّق التجربة الشعرية الكاملة عنده: الديوان ص ١٥-١٦

أحنُّ إلى أمّ القرى وبطاحهاويوشك قلبي بالجوى يتمزق
أجل، إنه الشوق الكبير لمكة دعاني فلباه فؤادي المؤرّق
دعا، فتداعى الجسم من ألم بهفما أنا مكبولٌ ولا أنا مطلق
كفى أيها الداعي إليها حرقتنيوقد كان قلبي بالهوى لا يحرّق
حنانيك يا أمّ القرى فيك كعبةملكت بها في العشق من ليس يعشق

إن معاني الشوق والحنين تتداح من ثنايا أبياته الشعرية، موحية بما يعتلج في صدره من عشق، وولـه، وحنين للبيت العتيق، ودوال العشق من ألفاظ، وتراكيب، وتصوير بياني تعجز عن تأطير هذا الشوق بإطار محدد، فلا غرابة أن يتآخى البناء الشعري مع حاله: (فما أنا مكبولٌ ولا أنا مطلق).

ويستمر الشاعر في تصويره لثنائية الحنين والشوق، فيصور اللقاء الذي يعجز قاموسه اللفظي عن تصويره أو ترجمته؛ إن الشاعر يعيش مشاعر الشوق، والفرح باللقاء، وفي ذات الوقت مشاعر الخوف من الفراق: الديوان ص:١٦-١٧

لقيتك لا أسطيع صوغ مشاعريوكان لساني قبل لقياك ينطق

لقيتك يا أم القرى بعد غيبةويا ليتنا بعد اللقا لا نفرّق

ولكن هذي سنة الله في الدنى إذا اجتمع الأحباب يوما تفرّقوا

الختام التسليمي المستخلص من سنن الحياة يوقفنا الشاعر عليه: (ولكن هذي سنة الله في الدنى إذا اجتمع الأحباب يوما تفرّقوا)؛ إنه ختام ملحمي يجمع ثنائية اللقاء والفراق :(اجتمع الأحباب – تفرقوا)، ولا نملك مع هذا الختام إلا التسليم بما سلم به الشاعر، والتصالح مع واقع الفراق مهما كان مؤلما.

ثنائية النور والظلام:

وثنائية النور والظلام تبرز في قصيدة العبودي: (الأرض والسماء)، وفي هذه القصيدة تتبدى العديد من الثنائيات التي تعبّر عن تجربة الشاعر؛ حيث تتداخل ثنائية الشوق للقاء، وخوف البعد والفراق بثنائية النور والظلام، وثنائية العطش والارتواء؛ فقد برحت به الأشواق فهفت نفسه للقاء طمعا بالارتواء من فيوض مكة بعد العطش، وسوف نتلمس هذه الثنائيات بوقفات يسيرة .

إن مكة تتساوى أرضها بسمائها فمنها انبثق نور الهدى، وعمّ ضياؤها الكون، إنه النور الذي بدّد الظلام، وعمّ الأرجاء وجعل لمكة مكانة مرموقة، وقدرا

عظيما تجاوز المدى، يقول في قصيدته: الأرضُ والسماء[١] التي تتبدى فيها ثنائية النور والظلام:[٢]

سيّانِ أرضُكِ والسماءُمنها قد انبثق الضياءُ
بزغ الهدى للكون منكِ، وفي السما بزغت ذُكاءُ
سيّانِ ... بل شتّانَ ... لايُحكى سَناكِ ولا السناءُ!
أنى تطولهما السماءُ وما لشأوهما انتهاءُ؟
مذ شعَّ نورِكِ ما انطفاوسَنا سواكِ له انطفاءُ!
وسَناءُ قدرك قد تجاوزَ في المدى، جلَّ العَلاءُ!

إن مكة المكرمة لها مكانة عظيمة، فقد اصطفاها الله بعلمه وحكمته ورحمته، إنها أمٌّ لهذه الأرض، وهي أم رؤوم تؤوي من ينضوي إليها من بني البشر، فلا تفرق بين أبنائها مهما كانت أصولهم وأعراقهم وألوانهم ولغاتهم:[٣]

يا أمَّ هذي الأرض طرًّا، سرْبَلتكِ الكبرياءُ
لقد اصطفاكِ الله إجلالًا .. ليَهْنكِ الاصطفاءُ
مهما تباعدتِ الديارُ ففي حماكِ لها خِباءُ
في ظلِّ بيتك تنضويوبه فوارقُها هباءُ...

ومعالم مكة الجغرافية تتصدر تاريخها العريق، تلك المعالم التي حملت ذكريات البعثة وما كان فيها من أحداث عظيمة، والشاعر يسترجع هذه الأحداث من ذاكرة التاريخ بإشارة تغني عن التفصيل؛ فجبل النور يسقي نوره النفوس

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٣ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

الظامئة عبق الإيمان، وقد بددت أنواره الظلمة ووحدت بين الناس، فأصبحوا أخوة متحابين، لذا يخصّ (جبل النور –غار حراء) بالذكر: [١]

وجبالـها تعنـو لـ (طود النـور) تَوَّجَـه (حـراءُ)
من فيض نورك تستقيوالنور – لو تدرين – مـاءُ
تحـيا بـه الأمصـار وهْـيَ بدونـه أرضٌ خـلاءُ
وبفضل ربي حيـن عَبّـتْ منـه وحّـدها الإخـاءُ
هي بالهـدى لكِ تنـتـميشرفٌ لمثلكِ الانتـمـاءُ

ويعتمد الشاعر ثنائية اللقاء والفراق في هذه القصيدة، فالابتعاد عن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يصعب على النفوس المحبة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وإن معاناة البعد والفراق تداويها حلاوة اللقاء بمكة الغراء، التي بلقائها يجلى عناء المسير بعد أن يرد الواردون مناهلها الصافية العذاب:[٢]

بكِ يستطيبُ النـأيَ عندار الحبيـب الأوفيـاءُ!
وإليـكِ لا يُضنـي الرحيـلُ ولا يُمَـلُّ بـكِ الـثـواءُ!
في كـل يـومٍ يعـتـفـيـكِ النـاسُ حتى الأغنيـاءُ
يَـرِدون بيـتـكِ يَنـهـلـون من الصفـاء وهم ظِمـاءُ

ثم يقف الشاعر على ثنائية الارتواء والعطش، والواردون مكة في حال عطش وغربة ما أن يستقوا حتى يعاودهم العطش والحنين، فيعودون إليها فلا تضيق بضيافة كل وارد، بل تستقبل الجميع بكل حب وجود دون كلل ولا ضجر:[٣]

ولربـمـا صـدروا ولـمـيطـفـئْ حنينـَهـم ارتـواءُ

---

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٣ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

يتعاقبُ الورّاد ... يزدحمُ الأراجلُ والنساءُ
وحِماكِ مضيافٌ؛ فلميضجر، ولا نضب العطاءُ
ما غاض يومًا منذ فاض ولم تكدّره الدلاءُ
تفنى الدهور وأهلها وجَداكِ يغمره النماءُ

الشاعر يخص الكعبة المقدسة بمزيد وصف؛ فالطهر يجثو في جنباتها، والبهاء معتكف فيها في سائر الأوقات، وقد عمرها الأنبياء بطوافهم، وكذلك الملائكة الكرام، ومنذ الأزل لم تعف معالم البيت العتيق:[١]

في بيتك القدسيِّ يجثو الطهرُ .. يعتكف البهاءُ
تتغيّر الدنيا .. وهاهو في الزمان له رُواءُ
أزكى الخلائق في مدى الأزمان نحو البيت جاؤوا
طاف الملائك فوقهوإليه حَجّ الأنبياءُ
من ذا يحاكي مجدكِ الأزليَّ؟ ليس له كِفاءُ!
عفتِ القرون وظلَّ مجدكِ لم ينل منه العَفاءُ!

من الواضح ارتباط المكان بالموروث الثقافي لدى الشاعر فهد العبودي، إن هذه المكانة للبيت العتيق يستمدها العبودي من إيمان عميق بقداسة مكة وحرمتها، ولذا علت مكانتها على ما سواها من أنحاء المعمورة، وإلى جانب مكة تبرز مدينة رسول الله، طيبة الطيبة في شعر العبودي في عديد من القصائد منها قصيدته: (ريحانة المدائن)، وقصيدة وادي العقيق التي أنشدها بعد أن سال وادي العقيق، فسالت عاطفة شاعرنا شوقا لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول في مستهل هذه القصيدة: [٢]

جرى ماء واديه فزاد احتراقياحنينًا! وكان الماء لي قبلُ شافيا!

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

وعهديَ أن الماءَ للنار مُخْمِدٌفما باله أذكى لهيبَ اشتياقيا؟

الشاعر في مستهل حديثه يعتمد الثنائية والتضاد في تعبيره فالماء المخمد للنار أضحى مشعلا لها، بل إن التضاد يظهر في التناص الإيقاعي؛ ففي حين يستدعي الشاعر بإيقاعه مرثية مالك بن الريب نراه يوظف هذا الإيقاع الرثائي الحزين في تصوير مضاد؛ حيث يعكس جمال الحياة، مظهرا التعلق بها والاستبشاربجمالها المكتنز بوادي العقيق.

ويواصل الشاعر بوحه المتدفق بخلجات الذات المحبة لطيبة الطيبة، ولكل ما فيها؛ جبالها وسهولها ووديانها وفيافيها:[1]

أنا منذ أن أدركتُ أعشقُ طيبةًجبالًا .. ووديانًا .. حِمىً .. وفيافيا
ومن ذا الذي لم تَسْبِ عينيه طيبةٌولم تبلغ الأشواقُ منه التراقيا؟!

ويخص وادي العقيق الحبيب بالذكر؛ كيف لا وهذا الوادي مرتبط بمحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبين ثنائية الفوات واللقاء يتحقق اللقاء، وبين ثنائية الحزن والفرح يغمر البشر الذات الشاعرة بعد أن التقت بمحبوبها وادي العقيق:[2]

لئن فاتني لقيا النبيِّ محمدٍفإن بلقيا من أَحَبَّ تلافيا
فها هو ذا وادي العقيق بطيبةٍحبيب نبيّ الله ما زال باقيا
يُوافي إلى الوادي الحزينُ فينثنيوقد غَمَرَ البِشْرُ الحزينَ المُوافيا
سأبذل لو يُشْرى ثرىً من بطاحهأَواقيَ تِبْرٍ خالصٍ وأَواقيا
تملّكني وادي العقيق صبابةًأمضّتْ لظاها مهجتي وشغافيا
وأوثقني وادي العقيق بحبِّهأُفَدّيه حتى لا يفكَّ وثاقيا

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

الشاعر يعتمد التكرار السردي في ترديده لاسم المحبوب (وادي العقيق)، وتكرار ضمير المتكلم المعبر عن الذات الوالهة المتشوقة التي لا تسطيع انفكاكا من وثاق الحب الذي تملك فؤاد الشاعر وأمضّ مهجته.

ويتابع العبودي وصف ما يلاقي من المحب تجاه محبوبه معتمدا على ثنائية الذلّ والعزّ، والطاعة والعصيان، ويبتعد عن الذاتية ليعمم الحال على كل محب تجاه محبوبه: [١]

يذلّ عزيز النفس في الحُبِّ طائعًاوفي غيره تلقاه للذلّ نافيا
يُلاقي من الحبِّ المُحبُّ شدائدًاولا يتجلّى الحبُّ حتى يُلاقيا
على ضَنْك ما يلقى المُحبّونَ لا تريذوي الصدق منهم يؤثِرونَ التجافيا!

ويجمع الشاعر في سياقه الوصفي لوادي العقيق بين مشاهداته للتضاريس المكانية، وبين ما يحمله هذا الوادي من أمجاد تاريخية ترتبط بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا يلبس هذا الوادي قلائد شعره وقوافيه المعبرة عن عميق حبه له:[٢]

أجلْ، هو وادٍ بَيْدَ أن شموخهبحبِّ نبيّ الله يمتدُّ راقيا
سموتُ إلى الوادي أحيّيه هاتفًافأطربني ترجيعُهُ لهتافيا
كأني به استوحى من الصوت أننيمُعنّىً فكان الرجْعُ لي منه راقيا
وأنشدتُهُ غُرَّ القوافي مُصوِّرًاحنيني فأوحى حسنُهُ لي قوافيا

ويواصل الشاعر سرده القصصي مع وادي العقيق؛ فها هوذا يستنشق رمله، ويرتشف ماءه العذب لعله يشفي قلبه، ويبرد ما به من نار الشوق والوله العميق: [٣]

---

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٣ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

سأنتشق الأطياب من نفح رمله وهل سوف يُطفي نارَ شوقي انتشاقيا؟!
وأرتشف السلوانَ منه فربماشفى قلبيَ الولهانَ بَرْدُ ارتشافيا

ويقف الشاعر على أسباب تميز هذا الوادي عن غيره من الوديان:[1]

سقاه نبيُّ الله حبًّا ولم يزلْفبوركَ مَسْقيًّا وبوركَ ساقيا
تدفّقَ حُبًّا منذُ قال: أُحبُّهُوما زال دفّاقَ المحبة صافيا
ولو أجدبتْ بطحاؤه فهْوَ منهلٌتدفّقَ من حبّ النبيّ سواقيا

ولا غرابة أن هذه الأسباب تدفع شاعرنا على إطلاق أمنياته في مجاورة هذا الوادي، وعدم البعد عنه في صيفه وشتائه ليحتسي من مائه العذب الرقراق في صبحه ومسائه:[2]

تمنّيتُ أني أستقرُّ جوارَهُومَشتايَ في أفيائه واصطيافيا
تمنيت أني حول شطَّيْهِ أحتسيصَبوحيَ من أمواهه واغتباقيا

ويعبر الشاعر العبودي بتصوير فني رائع عن إجلاله لوادي العقيق؛ فقد حدا به إجلاله لهذا الوادي أن يحتفي عند سيره على رمله، وأن يتخذ من عيدان أشجاره مراودا يكتحل بها لعلها تكفكف دمع شوقه عند ابتعاده عنه:[3]

ومن فرط إجلالي له ومحبتيتراني به أمشي على الرمل حافيا
وأجعلُ من أشجاره لي مَراودًاأُكَحّلُ منها – حين أنأى – المآقيا
لعل بها أن يرْقأَ الدمع سلوةًإذا حان عن وادي العقيق انصرافيا
هنيئًا لجيران العقيق وأهلهويا ويح ناءٍ عنه يرجو التلاقيا!

---

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.
٣ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

ويختم قصيدته الوصفية الرائعة بأمنية يشاركه فيها آلاف مؤلفة من البشر:[١]

أمانيَّ من أوطار دنيايَ جَمّةٌولو نلتُ سكنى طيبةٍ كان كافيا

إن معجم العبودي في قصيدته وادي العقيق قريب من معجم مالك بن الريب في قصيدته الرثائية:[٢]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

ويفترق مالك بن الريب عن العبودي في الموضوع؛ حيث يودّع الأول الحياة بمرثيته وهو يتمنى لقيا وادي الغضا، بينما يمجد العبودي الحياة وهو بجانب وادي العقيق، وقد برز جمال الثنائية المتضادة في الموضوع الذي طرقه العبودي في تناصه مع مالك بن الريب، ونجح العبودي في استثمار عناصر الطبيعة لتعبر عن معاني الحياة المبتهجة والمغتبطة بالغيث فأعطى نصه ذاتية تميزه عن غيره.

وتتبدى ثنائية اللقاء والفراق التي وقفها الشاعر مع مكة ومعالمها المقدسة في نفثة شعرية أخرى، ولكنها مع طيبة الطيبة، وهي نفثة شعرية حارة، تعج بعاطفة الشوق الصادق للقاء، ويجعل العبودي عتبتها الأولى مثيرة للمتلقي، جاذبة لفضوله، فيصدرها بهذا العنوان: (وكثير من السؤال اشتياق)، ويتصدر السؤال: من هذه؟ أبياته المعبرة عن حرارة الشوق التي تملأ جوانحه: الديوان ص ٦٣

من هذه؟ ما أعذب الأنداءتنسي عذوبتها الظماء الماءَ
يستنشق المشتاق منها نفحةًيحييه ريًّا طيبها ورواءَ
من هذه؟ فتجاويت أعلامهاحدبا عليه، ورددت أصداء

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – ابن قتيبة، أبو عبدالله بن مسلم الشعر والشعراء ، الناشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ ، ج١،ص ٣٤٢

ويقطع الشاعر هذا التساؤل بإجابة المغتبط الفرح بطيب اللقاء: الديوان ص ٦٣

هذي (المدينة) كيف تجهل طيبها؟وبه تضوّعت القرون زَكاءَ

وفي موضع آخر من نفثته الشعرية يصف حاله وهو يتنقل بين أنحاء المدينة المنورة، مقيما وصفه على ثنائيات ضدية تظهر جمال اللقاء، وروعة المكان: الديوان ص ٦٤ –٦٥

لما غشيت نجودها وسهولَهاألبست من نسج الجلال كساءَ
وغشت فؤادي رعدةٌ لا خشيةًمنها ولكن هيبةً وبهاءَ
جاورت خير المرسلين بأرضهافكأنني جاوزت منه سماءَ
وكأنها في الأفق جرمٌ سابحٌمع مكةٍ تتعانقان إخاء
ليست تنالهما الديار وإن سمتحتى تنال الوهدةُ الأنوارَ

الثنائيات الضدية التي أقام الشاعر عليها تشكيله الفني تتراوح ما بين ثنائيات حسية: (نجودها –سهولها) وثنائيات معنوية: (رعدة لا خشية –هيبة وبهاء)، و(جاورت خير المرسلين بأرضها– جاوزت منه سماءَ)، و(الوهدة – الأنوار)؛ إنها ثنائيات تحلق بآماله، وتسمو بنفسه المغتبطة بجوار المصطفى والمجاورة في شعوره آفاق السماء.

ثنائية الهدى والضلال:

وهذه الثنائية تظهر في شعر العبودي، وترتبط – أحيانا – بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم، ومدينته الغراء طيبة الطيبة، إنه يذكر حال التغير من حال الذّل إلى العزّ، ومن الضلال للهدى، ومن الشقاء إلى السعادة: الديوان ص ١٩–٢٠

أيها المبعوث فينا رحمة أنت في الرحمة أمّ وأبُ
لم يكن للعرب شأن في الدنىثم لما جئت عزّ العربُ
شعّ من مكة نورٌ وهدىًفاستضاءت من سناه يثربُ
واهتدت منه بلاد وقرىًما طواه مشرق أو مغربُ

الشاعر يستقي تشكيله الفني من صياغة تقليدية، وهي صياغة تلتقط أنفاسها من أنفاس الهجرة المباركة؛ حيث تتناص مع نشيد أهل يثرب عندما استقبلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع)، يواجه شاعرنا المتلقي بألفاظ موحية وموغلة في الخصوصية لتعبر عن الالتصاق، والتقارب، بل والتمازج مع نبي الأمة، النبي الكريم الرحيم الذي جاوز في رحمته رحمة الآباء والأمهات، ويكتنز هذا التمازج بالجار والمجرور: (فينا)، ثم في الصورة الفنية للنور والهدى الذي استضاءت من سناه يثرب، وعمّ نوره جميع البلاد والقرى في مشارق الأرض ومغاربها، إن الثنائية التي يقيم عليها الشاعر العبودي تجربته الفنية تكاد تتبدى في جميع الأبيات: (أم – أب) و(لم يكن للعرب شأن – عزّ العرب) و(بلاد – قرى) و (مشرق– مغرب).

ويواصل العبودي بثه الشعري في وصف أثر البعثة النبوية متكئا على الأفعال المضارعة والماضية، مستفيدا من خصوبة الفعل وديمومته، وقدرته التعبيرية على تشخيص الانتقال من حال الضلال والذّل إلى حال الهداية والعزّ؛ إن حمى طيبة قد اخضلّ، ولا يخفى أثر الحيا والمطر في نواحي المدينة بعد أن وطأت قدما المصطفى ثراها الطيب؛ فطابت بقدومه ومقامه فيها. الديوان ص ١٩–٢٠

حلّ في طيبة فاخضلّ الحمى وكذا فضل الحيا لا يعزب
منذ وافى ربعها مغترباًطاب بالمغترب المغترب

ويخص الشاعر العبودي المدينة المنورة برائعة أخرى، رائعة تعد من روائعه الشعرية عنونها بـ(ريحانة المدائن)، فقد طابت المدينة أرضا وسماء

بطيب الرسول الكريم عليه السلام، وأصبح اسمها: طيبة، ويستهل الشاعر قصيدته بذكر هذا الاسم قارنا إياه بطيب المصطفى عليه السلام:[1]

بطيبكَ طابتْ أرضُها وسَماهاوطاب اسمُها .. واهًا لطيبكَ واها!
عَقَدْتَ لها في قلب كلِّ مُوَحِّدٍعُرى الحُبّ عَقْدًا مذ حللتَ ثراها

ويستثمر الشاعر حادثة: بروك ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم، تلك الحادثة التاريخية برمزية عميقة تختصر مظاهر التحول الذي حلّ بالمدينة بجملة واحدة: (بركت قصواك)، وتعكس هذه الحادثة ثنائيتي المرارة والحلاوة، والقرب والبعد، والمجاورة والنأي، حقا إنها تعكس هذا التحول الذي شمل سهولها وتلالها وجبالها:[2]

---

١ – طيبة: وهو الاسم الّذي أطلقه النّبي على يثرب، وهو مأخوذ من الطِّيْب أي الرّائحة الحسنة. طابة: وقد ذكر لنا الرّسول الكريم أن الله تعالى هو من سمّى المدينة بهذا الاسم (طابة).

انظر: محمد شميم الملبياري، إرشاد الورى بأسماء مدينة خير الورى (صلى الله عليه وسلم) (دراسة عن أسماء المدينة المنورة)، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة ٤٦–٥٧. بتصرّف.

كانت المدينة المنورة في الجاهلية تسمى بيثرب نسبة إلى يثرب بن قاينة وهو أحد العمالقة، ثمَّ بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام إليها والنزول فيها سميت بالمدينة، وطيبة وطابة، سماها النبي بهذه الأسماء لأنّه كره اسم يثرب حيث التثريب من التغيير، أو لأنَّ معناها يثرب من الثرب أي الفساد، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد). رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، الرقم: ١٣٨٢، خلاصة حكم المحدث صحيح .وانظر: "سبب تسمية المدينة بيثرب ثم المدينة بعد الإسلام "، إسلام ويب، ٢٠٠٩–٩–٩، بتاريخ ٢٠١٨–٤–٣٠. بتصرّف.

٢ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

ومذ بَرَكَتْ "قَصْواكِ" فيها تباركتْأباطِحُها ... آكامُها ... وذُراها
يَحُلُّ بها النائي فيحلو مُقامهوإن كان مُرًّا عيشه بسواها

ويشيد الشاعر بالسنوات القلائل التي قضاها الرسول الكريم في المدينة المنورة؛ حيث شهدت التحول العالمي للتاريخ البشري؛ فقد زكا ظاهر الأرض بوجوده صلى الله عليه وسلم، ولا تزال أرجاء المدينة تنضح أرجاؤها ونواحيها بعبق الطيب والشذى الفواح، كيف لا وقد ضم ثراها جسده الطاهر صلى الله عليه وسلم، إنه طيب يتجدد مع كرّ الجديدين: [١]

حللتَ بها عَقْدًا من الدهر فانثنىعلى جيدها عِقْدًا به تتباهى
زكا بك ظَهْرُ الأرض فيها وبَطْنُهاوما بَرِحا ... لو ينطقانِ لفاها
كلا جانبيها تاه منك على المدىوواللهِ لا يُلْحى الذي بك تاها
يفوح شذاها منك في الدهر كلماتَجَدَّدَ دهرٌ فاح فيه شذاها
فلله طيبًا ليس يَنفَدُ نَفْحُهُ!ولله مجدًا لا يكادُ يُضاهى!

الشاعر العبودي في وقوفه على المدينة المنورة وما تحمله من مآثر تميزها يعتمد على التصوير الموحي ولن تقف الدراسة على تلمس دقائق تصويره الفني، فهذا يحتاج دراسة خاصة، ذلك (أن التحديد الدقيق لمصطلح (الصورة) لم يكن بالمنال السهل، او المبتغى اليسير)[٢]؛ وأي محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة هي محاولة غير منطقية، إن لم تكن ضربا من المحال.[٣]

---

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

٢ – انظر أبي جملين مصطفى، الصورة (الفوتوغرافية /البصرية) في الشكل الأدبي عند الناقد (مازن عرفة) – حوارية أم تدافعية – نشر مجلة مقاربات – ع – ١٥، ٢٠١٥، ص١٥١

٣ – انظر محمد علي الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – ط١– ٢٠٠٣. ص١٥١

إن البركة التي حلّت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم غمرت الأرض فاستحقت أن تكون أفضل المدن على وجه الأرض قاطبة، كيف لا وظاهرها قد من الله عليه بأن سارت عليها أقدام المصطفى، وتعطرت أجواؤه بأنفاسه صلى الله عليه وسلم، ثم إن باطنها ضمّ جسده الطاهر صلى الله عليه وسلم: [1]

لها مكرماتٌ يغمر الأرضَ فيضُهافسبحان من بالمكرمات حَباها!
وجَلَّ الذي قد خَصَّها بمحمدٍفنالتْ به بين المدائن جاها
لقد حَسَدَتْها الأرض ظَهْرًا وباطنًاعلى شرفٍ لولاك ما حَسَداها

الشاعر يكرر ثنائية ظاهر الأرض وباطنها، ولا يخفى ما ينضوي في هذه الثنائية من معان عميقة ترمز لحياة المصطفى فيها، ثم وفاته في أرضها الطيبة، وتخالف التضاد بين ثنائيتي: ظاهر الأرض وباطنها يتناسب مع ما تتميز به المدينة من مكانة عظيمة، مكانة تجعلها تختلف عن جميع بقاع الأرض ومدنها، ومع أن هذه الثنائية تجمع ضدين، إلا أنه لا يظهر بينهما انفصال أو تباعد، بل تظهر الصلة والترابط بينهما، وقد زاد الشاعر بتكراره لهما من جمالية خطابه الشعري، وبدا في أسلوبه التماسك والتآلف والتكامل فقد جمع بينهما بطريقة أضافت قيمة جمالية أسهمت في جلاء المعنى وتأثيره في الذات المتلقية.

ويختم الشاعر قصيدته بختام يعكس أهمية المكان المقدس: (المدينة المنورة)، وتتأتي هذه الأهمية من بعدين؛ البعد الأول: يتمثل بموضوع القصيدة الذي خصّ به الشاعر قصيدته: المدينة المنورة، وقد وسمها بـ(ريحانة المدائن)، فجاء معجم القصيدة مفعما بدوال الروائح الطيبة، ونفحات النور والسناء والضياء، وأما البعد الثاني فيتمثل بذات الشاعر، وما يحمله في وجدانه من مشاعر، وأحاسيس جاءت متمازجة مع المكان المقدس بصورة رائعة، ظهرت فيه

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

المدينة كائنا حيا يخاطبه الشاعر العبودي، ويتعهد له بالوفاء ؛ فهو مدين لطيبة الطيبة، عاجز لا يستطيع الوفاء بما يتناسب مع الفيوضات العظيمة التي نالها من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم: [١]

سأبقى مَدينًا للمدينة بالسَّناوبالطيب .. من ذا يستطيع وفاها؟
تفيض على الدنيا ضياءً ونفحةًوما غاض يومًا طيبُها وسَناها
عليك صلاة الله يا من حللتَهافصار شريفًا رَبْعُها وحِماها

الشاعر يقفل قصيدته بالصلاة والتسليم على النبي الكريم، إنه أجمل قفل تنهى به المجالس والخطب والمقالات، ويأتي التناسب بين هذا الإقفال وموضوع القصيدة، حيث ساعد على تلاحم العنوان والافتتاح والختام، مما أسهم في إظهار جمالية البوح الشعري في شعر العبودي الوطني.

١ – وصلتني مخطوطة من الشاعر.

خاتمة

حاولتُ في هذه الدراسة الكشف عن جماليَّات الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي الوطني، بمنهج تحليلي سيميائي، وانتهت الدراسة بعدد من النتائج:

١- ظهرت الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي، وبرزت واضحة في تشكيله للمكان، وفي تناوله الشعري للوطن جاءت الثنائيات متوافقة مع تجربته الشعرية بلا تكلف أو تصنع يهبط بجمالية النص، أو يخل بتماسكه النصي.

٢- جسّد الشاعر العبودي من خلال الثنائيات الضدية ما يحمله من رؤى وأفكار استطاع أن ينقلها للمتلقي بصورة كلية، وأحيانا جزئية، ولعل مثل هذه القراءة النقدية تسهم في نقل رؤى الشاعر بصورة تقرب مشاعره وأحاسيسه للمتلقي.

٣- هذه القراءة النقدية اقتصرت على الثنائيات الضدية في شعر فهد العبودي الوطني، وهو جانب واحد من الجوانب التي تميز شعر العبودي، وهناك ظواهر جمالية أخرى جديرة بالدراسة والنقد نوصي بدراستها، مثل التناص، والصورة الفنية، والتماسك النصي.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١- مخطوطات من الشاعر، تفضل الشاعر بإرسالها إلي.

٢- العبودي، فهد بن علي، بوح الصمت، الرياض، دار ميلاد للنشر، ط١، ١٤٤١هـ.

ثانيا: المراجع:

٣- إبراهيم محمد أبو الفضل ، علي محمد البجاوي، أيام العرب في الإسلام، لناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م، ط، ٣.

٤- ابن قتيبة، أبو عبدالله بن مسلم الشعر والشعراء ، الناشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ ، ج١.

٥- أبو جملين مصطفى، الصورة (الفوتوغرافية /البصرية) في الشكل الأدبي عند الناقد (مازن عرفة) – حوارية أم تدافعية – نشر مجلة مقاربات – ع – ١٥، ٢٠١٥.

٦- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: أبو عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية ، مصر د. ت.

٧- أسامة محمد البحيري، مقارنات في السرد العربي، الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

٨- إسلام ويب، ٢٠٠٩-٩-٩، سبب تسمية المدينة بيثرب ثم المدينة بعد الإسلام ، بتاريخ ٢٠١٨-٤-٣٠..

٩- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠١٥.

١٠- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤.

١١- ديوب، سمير، الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، د. ط، ٢٠٠٩.
١٢- الزركشي، بدر الدين، محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط١ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ،
١٣- ساعي، أحمد، الواقعية في الأدب والنقد، دار المنار، جدة، ط ١ ، ١٤٠٥هـ.
١٤- صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، الرقم: ١٣٨٢.
١٥- عاصم محمد أمين بين عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل.
١٦- علي عبيد، مقاربات سردية، الانتشار العربي، بيروت، ط١،٢٠١٤.
١٧- محمد شميم الملبياري، إرشاد الورى بأسماء مدينة خير الورى (صلى الله عليه وسلم) (دراسة عن أسماء المدينة المنورة)، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٨- محمد علي الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - ط١- ٢٠٠٣.
١٩- المصحف الالكتروني، تفسير الآية رقم ٤٩ من سورة الذاريات.
٢٠- المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت. ج١ .
٢١- ميشال بتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧١.